

في مجلات الغرب

من فرنسا (مرسيليا)

الباب السادس : شهادات عن الاسلام .
وقد اختلف حظ هذه الأبواب من التوفيق
فبينما حُظِل قسم الفنون والآداب مثلاً
بمقالات عظيمة القيمة نرى الباب الخامس
الذى يهدف إلى أن يقدم للقارئ الغربى
نماذج من أدب العرب والمسلمين قد أخفق
في الوصول إلى غايته . شغل شعر التصوف
في هذا القسم مكاناً أكبر جداً مما خصص
لبقية فنون الشعر وشغلت بلاد المغرب فيه
مكاناً أكبر جداً مما شغلته بقية بلاد العالم
الاسلامى . وتفسير هذا يسير فيما يظهر
وهو أن المسيو إميل ديرمنجيم Emile
Dermenghem محرر العدد يعيش في بلاد
المغرب ، يعاونه في أعماله علماء وأدباء من
المغاربة ، ثم هو يؤثر التصوف الاسلامى
بأكثر عنايته ومجهوداته . القارئ بأسف
إذن لأن النصوص التى اختيرت في هذا
القسم ليست مما يعطى القارئ الغربى
فكرة شاملة دالة على طبيعة الآداب
الشرقية الاسلامية بألوانها المتعددة ولا مما
يبين في صورة عادلة النشاط الفكرى
لختلف بلاد الاسلام . الشعر الاسلامى
تصوره في هذا العدد مختارات من
شعر ابن الفارض في العربية ومن شعر
جلال الدين الرومى في الفارسية ومن شعر
الشاعر التركى عزيز محمود هدائى ؛ ولا شك
أن شعر ابن الفارض الصوفى مثلاً لا يكفى
مطلقاً لتمثيل الأدب العربى كله .
نتنقل الآن إلى دراسة المقالات التى

نشرت مجلة « كراسات الجنوب »
Cahiers du Sud في العام الماضى عدداً
ممتازاً خاصاً بالدراسات الاسلامية وبالعلاقات
بين العالم الاسلامى والعالم الغربى جعلت
عنوانه « الاسلام والغرب » . وقد استاز هذا
العدد بميزات كثيرة تجعل منه عدداً
عظيم القيمة جداً بعناية المهتمين بالدراسات
الاسلامية وبالعلاقات بين الشرق الاسلامى
وألم الغرب . من هذه الميزات أن من
بين الذين ساهموا في تحريره جماعة من أشهر
المستشرقين الفرنسيين وأكبر التخصيصين
في شئون الشرق وجماعة من كبار كتابنا
المصريين المعاصرين . وقد حاول المسئولون
عن إصدار هذا العدد أن يضعوا به أمام
القراء صورة للعالم الاسلامى وحياته
الثقافية ولما بينه وبين العالم الغربى من
صلات ، وبذلوا غاية جهدهم في أن يجعلوا
هذه الصورة منظمة واضحة كل الوضوح .
وغن ثنقل لك هنا عناوات الأقسام الستة
التي ينقسم إليها العدد لترى طبيعة الأبحاث
التي احتوى عليها :

الباب الأول : أوضاع .

الباب الثانى : تأثيرات وتفاعلات .

الباب الثالث : آراء في الاسلام والعالم
الاسلامى .

الباب الرابع : الفنون والآداب في
الاسلام .

الباب الخامس : نصوص ومقالات
اسلامية .

الدراسات المنظمة المبسرة عند الغرب ، وهم إن أرادوا أن يعرفوا عنه شيئا وجدوا أنفسهم أمام أكداً متراكمة من المعلومات والكتب لا يدرون بأيها يبدأون ولا كيف منها الخلاص ، فليس في الشرقيين مستغروبون^(٢) قد أنتجوا من الآثار ما ينفع مواطنهم في دراسة شؤون الغرب .

والكتاب ينتقل بعد ذلك إلى دراسة هذا الاستغراب أو هذه العناية بشؤون الغرب التي ينتجها اتصال الشرق بأوروبا . يلاحظ الكاتب أولاً أن هناك من الشرقيين من إذا أخذ في الاتصال بالغرب لم يلبث أن يقتنع بآراء الغرب ويعتق مذهبه في الحرية مثلاً . هذا الاقتناع يدفعه أولاً إلى مهاجمة الغرب المستعمر ومطالبته بأن يعطى الشرق مثلما يريد لنفسه من الحرية . وهو ثانياً يريد أن يطبق هذه الحرية التي آمن بها في الشرق ، وهذا عنده معناه التحرر ليس من قيود الاستعمار الغربي فقط ولكن من قيود التقاليد الشرقية أيضاً ، ونتيجة هذه كانت تكون القضاء على التقاليد الشرقية قضاء تاماً وزوال كيان الشرق ذاته ، ومن حسن الحظ — فيما يرى الكاتب — أن هناك من الشرقيين من هم أذكي من هؤلاء المستغربين المتحررين وأحرص على أن يحسنوا الفهم لتقاليد الشرق وأن يستبقوا ما كان منها صالحاً جديراً بالحياة . يرى هؤلاء — فيما يقول الكاتب — أن المناظرة بين الشرق والغرب جدير بها أن تدفع الشرق إلى أن يعرف مقوماته باعتباره شرقاً خالصاً ، وأن يتسكك بمميزاته ويحيي تقاليده الصالحة . وهذا القسم من الشرقيين ليسوا — عند الكاتب — أنصار

اشتملت عليها بقية الأبواب فتجد في صدر الباب الأول مقالا للمستشرق الأستاذ لويس ماسينيون يدرس فيه « المركز الدولي للإسلام » ونحن نقف فيه أمام فكرة أغلب الظن أن القارئ العربي سوافق عليها كل الموافقة وهي أن العالم الإسلامي إن كان اليوم لا يقاوم ما تصدر إليه أوروبا من علوم تطبيقية وفنون عملية واختراعات ، فإنه قادر على أن يرد عن نفسه — بما فيه من عقائد وإيمان — ما يسود أوروبا من التهالك على الثقة بالعلم ومن الاغراق في الشكوك ، وهو قادر على أن يميز ما كان من أصول الخلق الأوربي الحق وبين ما يزيفه ويروجه المستعمرون من المذاهب المغرضة .

ويلى مقال الأستاذ ماسينيون مقال للمرحوم الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ذهب فيه إلى أنه ليس في روح الإسلام ذاتها ما يتعارض مع التفكير الغربي ، كما أنه ليس في التفكير الغربي ذاته ما يعارض الإسلام .

ولكن هناك أحيانا تعارضا بين بعض الغربيين وبعض الشرقيين ، ولا بد أن نتمحس أسباب هذا التعارض والاختلاف وهذا هو الموضوع الذي يدير عليه فرنسوا بونجان^(١) المقال الذي يلى مقال المرحوم مصطفى باشا . يلاحظ فيه الكاتب أولاً أن الرجل الغربي يستطيع أن يفهم أمور الشرق بأيسر مما يستطيع الشرق أن يفهم أمور الغرب ، فقد يسر المستشرقون الأوروبيون دراسة الشؤون الشرقية ومهدوا طريقها أمام إخوانهم الغربيين ، أما الشرقيون فانهم لا يجدون مثل هذه

والكاتب يقول في آخر مقاله - في تواضع - إنه إنما جمع بقصد الملاحظات عن الموضوع ليس إلا ، وأن هذه الملاحظات تتكفى - على كل حال - لتخطئه من يذهبون إلى أن « سيف الاسلام » لا يدل إلا على العنف والقوة المادية .

ويجد الذين يعنون بمقارنة الأديان في المقال الذي يلي مقال سيف الاسلام دراسة هامة تمس المسيحية والاسلام ، وهي مقدمة المرحوم الأب ميغويل أسين بلاسيوس (٢) لكتابه عن « الشعور المسيحي في روحية الغزالي (٣) » وتلى هذا المقال دراسة طريفة للكاتب ب. ج. تيرى (٤) عنوانها « محادثات في مراكش » والكاتب يشير إلى المحادثات التي يقول أنها دارت في أوائل عام ١١٦٩ في مراكش بين رجال ثلاثة يمتازون من أعلام الاسلام وهم أبو يعقوب وابن الطفيل وابن رشد ، وهو يرى أن أحاديثهم وقراراتهم أحدثت أكبر صدمة فكرية هزت أوروبا المفكرة في ذلك الوقت ، وهزت أوروبا المسيحية على الخصوص ، ذلك أنهم قد قصدوا إلى أن يردوا للفلسفة المقام الذي لها في عصرها العربي الزاهر ، في أيام العباسيين في بغداد .

ويظهر أن موضوع الحب العذري ونشأته باعتباره فنا من فنون الشعر الأوربي يشغل في هذه الأيام عقول المستشرقين . فنحن نقابل في الباب الثاني من أبواب هذا العدد من « كواست الجنوب » مقالين

الشرق فقط ولكنهم أنصار الانسانية كلها . والكاتب يختم مقاله بالآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » ضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .

ونحن نريد أن نفرغ أولا من دراسات الكتاب الأوربيين ، ولذلك نترك الآن الدكتور محمد حسين هيكل باشا لننظر في الدراسة القصيرة الشاملة التي كتبها الأستاذ رينيه جينون (١) عن « سيف الاسلام » يريد أن يثبت فيها لهذا التعبير معنى رمزيا غير معناه المادي ، ويذهب إلى أن هذين المعنيين الرمزي والمادي يناظران المعنيين اللذين للفظ « الجهاد » في الحديث النبوي الشريف « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أي من الجهاد المادي إلى جهاد النفس . السيف الروحي أيضا . والكاتب يقارن هذا التفسير الذي يقول به لعبارة « سيف الاسلام » بالصورة التي تقابلنا في الميثولوجيا اليونانية لأبولون وهو يقتل التين بسهامه ، فان التين والسهم هتا رمزان ، وهو يقارنه أيضا بفكرة « القربان الفيدي » في الدين الهندي القديم .

(١) René Guénon, *Sayful Islam*

(٢) Miguel Asín Palacios, *Contacts de la spiritualité musulmane et de la spiritualité chrétienne*.

(٣) « La espiritualidad de Algazel y su sentido cristiano »

(٤) P.G. Thèry

ليظهرنا على تأثر شعره باللغة والألفاظ الرومانية *la langue romane* .
نتقل الآن إلى الباب الثالث من أبواب العدد ف نجد مقالين عن التصوف الاسلامي أولهما لرينيه جينون عن « السر في الدين الاسلامي » والثاني لماسينيون عن « اللغة العربية ، من حيث هي اللغة الدينية للاسلام » نقل منه هذه الجملة الكبيرة الدلالة : « إذا كانت الاسرائيلية تقوم على الرجاء والأمل ، وكانت المسيحية مبنية على الاحسان والمحبة ، فان الاسلام مؤسس على الايمان . »

وفي الباب الرابع مقال قيم عنوانه « الكنيسة والمسجد » كتبه جورج مارسيه Georges Marçais درس فيه نشأة المسجد وقابل بينه وبين الكنيسة . يصف في أول مقاله أول مسجد بني بالديانة ثم يمضي في تتبع التطورات التي مرت بالمساجد حتى صارت إلى البناء الذي نعرفه اليوم . وإذا كان الكاتب يظهر في أجزاء المقال كلها علمه ومقدرته فانه يظهر في ختامه ما له من مشاركة في الفن والأدب والفلسفة أيضا حين يقارن بين المسجد والكنيسة وبين الاسلام والمسيحية فيقول : « أن الكنيسة تبدو كأنها عالم غير حقيقي تحفه الأسرار يكشف الله فيه عن وجوده للمؤمن ويقرب منه ، أما المسجد فهو حي يجمع الزاهد أفكاره فيه ولا يسعه إلا أن يحس نفسه فيه وهي تتصاغر أمام ألوهية لا يستطيع منها دنوا . »

حول هذا الموضوع . أولهما لشارل سالفراנק (١) يرى فيه أن مشكلة أصول الحب العذري في الشعر الأوربي قد حلت حينما أثبت الكاتب ا. ر. نيكل A.R. Nykl العلاقة بين شعر الغرب في الأندلس وبين شعر التروبادور في فرنسا ، وانتهى مع ريبيرا Ribera وغيره من العلماء — إلى أن الشعر الأندلسي العربي كان هو أصل هذا الشعر الأوربي الذي تنفى بالحب العذري ، بدلالة ظهور القافية — وهي من سميات الشعر العربي الأصلية — في شعر التروبادور وبدلالات أخرى تلاحظ لأبنية الشعر ، ويختم سالفراנק مقاله بقوله : « فتح الحب العذري الغرب كله ، وقد كان زهرة رقيقة أزهرت في ربيع الأندلس النضر بعد أن نمت في النفس العربية القديمة . »

المقال الثاني عن الحب العذري كتبه الاستاذ هنري بيريز (٢) وعنوانه « الشعر العربي الأندلسي وعلاقاته المحتملة بشعر التروبادور » . يمتاز هذا المقال عن سابقه بدراسة مفصلة على قدر ما يمكن التفصيل في مقال محدود ؛ وهو يميز بين الشعر العربي المشرق وبين شعر العرب في الأندلس ، ويقرر — بصدق — أن للشعر الأندلسي الاسلامي — حتى في موضوعاته التقليدية — صفات ومميزات خاصة تفرق بينه وبين أدب العرب المشاركة . سببت ذلك مسببات كثيرة يذكر منها التأثير الاسباني في شعر الأندلس العربي ويورد بعض سطور من شعر ابن قزمان

(١) Charles Salferanque, *Périples de l'amour en Orient et en Occident, les origines arabes de l'amour courtois.*

(٢) Henri Pérès, *La poésie arabe d'Andalousie et ses relations possibles avec la poésie des troubadours.*

الشيعة الدينية المعروفة في إيران باسم التعزية والتي تمثل مصرع الحسين ، يقول الكاتب في هذا المقال أن دراسة هذا الفن من فنون الشعر الفارسي تحتاج إلى أن ينقطع إليها عالم من علماء الدراسات الفارسية .

وفي مقال قيم عن « الفنون المغربية » يتحدث الكاتب بيير فيلين (٤) عن فنون الاسلام ، ويقتبس في عرض حديثه عن التصوير الاسلامي هذه الفقرة من كلام بول فاليري ، عما يقال من منع الاسلام لتصوير الاحياء : « انني أحب هذا النع . إنه ينقى الفن من عبادة الأصنام ومن مجرد التقليد الساذج للطبيعة والحياة ، ينقيها من الخداع والتغوير ومن كل ما هو ليس بنقى في الفن ولا خالص . »

نلذت بعد هذا إلى مقالات الكتاب العرب في هذا العدد ، فتجد فيه دراسة عن أحوال المرأة المسلمة للآنسة حليلة بن عابد H. H. Benabed وصفحتين للدكتور فراج عن « حكماء الاندلس وقسم أبقرات » وقصة مراكشية للاستاذ أحمد سفيوي تمتاز بقوة الوصف وانطلاق الخيال .

ونريد أن ننوه بمساهمة الكتاب المصريين في هذا العدد فنذكر دراسات الدكتور محمد حسين هيكل باشا في أسباب عدم التفاهم بين أوروبا والعالم الاسلامي وطرق ملافة ذلك ، والدكتور طه حسين بك في الاتجاهات الدينية في الأدب المصري الحديث ، وإلى دراسة الاستاذ توفيق الحكيم

المقال الذي يلي هذا مختلف في طبيعته كل الاختلاف عن هذه الدراسة ، يخصصه الأستاذ ج. ه. بوسكيه (١) لدراسة الشريعة الاسلامية ، وقد قسم الكاتب مقاله إلى خمسة أقسام تعرض في أولها باختصار إلى ماهية هذا القانون الاسلامي ، وانتقل في ثانياها إلى دراسة تطبيق الشريعة في البلاد الاسلامية قبل اتصالها بأوروبا ، وفي القسم الثالث يدرس المؤلف الفقيه آثار التفكير والحياة الاقتصادية الأوربية في بلاد ثلاثة انحسر عنها سلطان الشريعة الاسلامية وهي بلاد روسيا وتركيا وألبانيا ، وفي القسم الرابع يدرس الكاتب أحوال بلاد تطورت فيها الشريعة الاسلامية دون أن يضع سلطانها ضياعا تاما ، وهي مصر ويوغوسلافيا والهند البريطانية وأفريقيا الشمالية القونسية ؛ والقسم الخامس هو ختام هذا المقال يقول فيه الكاتب إن دراسة الشريعة الاسلامية وتنظيم العمل ينبغي أن تقوم على دراسة دقيقة للأحوال الاجتماعية في البلاد الاسلامية ، لأن القانون دائما وكما هو معلوم مظهر من مظاهر حياة الجماعة التي تتوافق عليه وتخضع له .

وقد خص هذا العدد الأدب الفارسي بمقالين أحدهما للاستاذ هنري ماسيه (٢) عن الأدب الفارسي في الوقت الحاضر ذكر فيه الكاتب أسماء كثيرة العدد ولكنها قليلة الغناء للقارئ العادي الذي لم يتخصص في شؤون إيران ، وثانيهما للاستاذ جان هيتيه (٣) عن المأساة الدينية في الفارسية ، وهو عرض سريع للتمثيلات

G. H. Bousquet, *Évolution juridique des populations musulmanes* (١)

Henri Massé, *La littérature persane d'aujourd'hui* (٢)

Jean Hytier, *Vie et mort de la tragédie religieuse persane* (٣)

Pierre Féline, *Arts maghrébins* (٤)

عن الأدب العربي في ربع القرن الأخير ،
 وإلى القصة الرشيقّة التي كتبها الأستاذ
 بشر فارسي .
 ونحن نصل الآن الى المثال الذي يختم به
 الأستاذ أميل درمنجم أبحاث هذا العدد
 الممتاز حقاً . عنوان هذا المقال هو « ملاحظات
 عن القيم الدائمة والقيم الحالية في الحضارة
 الإسلامية » ولنلخص للقارئ العربي
 رأي الأستاذ درمنجم في المسلمين نذكر له
 أن الكاتب قد اقتبس في مقاله الافتتاحي
 هذا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة
 وسطا لتكونوا شهداء على الناس . »

أمين طه حسين